

إذا انتقص الذمي الله أو الرسول

أو ذكر الله أو رسوله أو كتابه أو دينه بسوء انتقص عهده؛ لأن هذا ضرر يعم المسلمين. لا شك أن هذا أكبر ضرر، ولأنه - كما يأتينا إن شاء الله في باب الردة - يحصل به الارتداد للمسلم فكيف بغير المسلم، فإن من ذكر الله تعالى بسوء؛ حكم برده. إذا انتقص الله حكم برده، وكذلك إذا انتقص النبي صلى الله عليه وسلم، أو انتقص القرآن، أو انتقص دين الإسلام، أو انتقص حملة الدين؛ المسلمين ونحوهم، والانتقص يكون مثلاً باستهزاء أو تهكم أو سخرية أو عيب أو سلب. يعني: ما يظهر منه أنه لا يعظم هذه الأشياء ولا يعترف بأحقيتها. وقد كفر الله تعالى المستهزئين في قوله تعالى في المنافقين: { وَكَيْفَ سَأَلْتَهُمْ لِيَقُولَنَّ إِنَّمَا كُنَّا تَخَوِّضُ وَتَلَعَبٌ قُلْ أَيْلَهُ وَأَيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ } كفرهم بعد إيمانهم، وفي القصة أنهم أو قائلًا منهم قال: ما رأينا مثل قرأتنا هؤلاء؛ أرغب بطولنا ولا أكذب ألسنا ولا أجب عن اللقاء، وهو يعني بذلك النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته لم يذكر الله تعالى ولا دينه، ولكن استهزأ بالنبي صلى الله عليه وسلم وبحملة القرآن، وذكر أن همهم بطونهم، وأنهم يكذبون أكذب من غيرهم، وأنهم جنباء عند اللقاء، فهذه المقالة ذكر أنه قالها على وجه التحدث. واعتذر بقوله: إنما كنا نخوض ونلعب، إنما كنا نتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق، ومع ذلك لم يعذر؛ كفره الله وكفر الذين أقروه والذين ضحكوا من مقالته معجبين بها، وكان عنده رجل من الصحابة وهو عوف بن مالك فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فوجد القرآن قد سبقه. وهكذا أنزل الله تعالى فيهم وفي أمثالهم قوله تعالى: { الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ } يسخرون من المتطوعين؛ فالذين يتمسحون من المتطوعين؛ أهل التطوع سواء تطوعاً بصدقة أو بصدقة أو بصدقة، أو تطوعاً مثلاً بإظهار سنة وترك بدعة، يعتبر هؤلاء من المستهزئين يدخلون في هذه الآية: { سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } وقد ذكر الله أيضاً السخرية بأهل الخير في عدة آيات مثل قوله تعالى: { رَبِّنَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } { وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا } ؛ هذا في الذين كفروا، فبدخل فيهم كل كافر، أو قد يؤخذ منه أن الذين يسخرون من الذين آمنوا يعتبرون كفاراً، ومثل قوله تعالى مخاطباً لأهل النار: { إِنَّهُ كَانَ قَرِيْبٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَإِرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا } اتخذتموهم سخرياً يعني: مسخرة. يعني: أخذتم تنتقصونهم وتعيبونهم وتقذون في عقولهم وتستصغرون شأنهم وترمونهم بالتقهقر وبالتأخر وبالجمود وبالغلو وبالتزمت وبالرجعية وما أشبه ذلك مما هو مستعمل على كثير من السنن هؤلاء العلمانيين ونحوهم، { فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُم ذِكْرِي } يعني: اشتغلتم بذكرهم عن ذكري، { وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَصْحَكُونَ } ضحك استهزاء. ومثل هذا أيضاً ما حكى الله تعالى عن أهل النار بعد أن دخلوها وصاروا يعذبون فيها، قال تعالى: { وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رَجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ أَتَّخَذْتَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ رَأَيْتُ عَنَّهُمُ الْأَبْصَارُ } يقولون: أين أولئك الذين نعددهم من الأشرار، ونسخر منهم في الدنيا؟ يريدون المؤمنين، ما لنا لا نراهم معنا؟ ومثلها ما ذكر الله بآخر سورة المطففين: { إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَصْحَكُونَ } إلى آخر السورة، فكل ذلك ونحوه دليل على أن السخرية بالله أو برسوله أو بشيء من شرعه أو بحملة شرعه تعتبر كفراً وردة، وتعتبر من الذمي نقصاً للعهد، وما ذلك إلا لما فيها من التنقص الذي يدل على عدم الإيمان، أو يدل على عدم الاحترام. فالذمي إذا سب الله تعالى، سواء في تصرفه مثل قولهم: { إِنَّ اللَّهَ قَبِيْرٌ وَخَسِرٌ أَعْيَاءٌ } ومثل قولهم: { يَدُ اللَّهِ مَغْلُوْلَةٌ } يعني: عن النفقة، ومثل ما يصدر من كثير من المتمسحين في كلمات نابية تقشع منها الجلود فيما يتعلق بتصرف الله تعالى وتبديره وبعطائه ويقسمته العطاء بين عباده { تَخَسِرُ قَسَمَاتًا بَيْنَهُمْ مَعِيَسَتَهُمْ } يعني: يقول: هذا جور، ما عدل ربنا، الله ظلمنا حيث سلط علينا الفقر، لماذا لم نحصل على مثل فلان وفلان؟ هذا تصرف سيئ، أو يسبون شيئاً من الأحكام ويقولون: شرعية هذه الصلاة، شرعيتها ضرر وشغل. الناس ينشغلون في أعمالهم وفي حرفهم، فتقطع عليهم هذه العبادة لذتهم أو أشغالهم وأعمالهم، وكذلك أيضاً يسبهم لبعض الأحكام؛ لماذا شرعت هذه الزكاة في أموالنا التي نكدح ونجمع ونجمعها، نحرض على جمعها ثم يأخذها منا من ليس بأهل، من ليس له حق، ومن لم يتعب ولم يجمعها؟ وما أشبه ذلك، أو ما فائدة هذا الحج؟ وما فائدة هذا الصوم؟ أو ما أشبه ذلك أو لماذا حُرِّم الربا؟! مع أنه كسب مال بدون إكراه وبدون ضرر؟ أو لماذا حرم الزنا مع كونه بين اثنين متراضين ومتفقين كيف يكون حراماً؟! وأشبه ذلك. إذا طعنوا في شيء من شرع الله تعالى أو طعنوا في القرآن فقالوا: إنه مختلف أو مفترى أو سحر أو كهانة أو شعر كما قال المشركون، أو تنقصوه بما يقولون فيه من اضطراب واختلاف وتناقض وعارضوه بمثل ما عارضه به المشركون؛ بقولهم: إن هذا إلا أساطير الأولين اكتتبها، أو ذكروا أنهم يقدرون على معارضته أو على أن يقولوا مثله أو نحو ذلك أو طعنوا في النبي صلى الله عليه وسلم وفي رسالته وقالوا: إنه رجل ذو حيلة وذو فكر وليس نبي ولم ينزل عليه وحى، وأن هذه التشايع التي شرعها أنها من قبل نفسه لم تكن من ربه ولم ينزل عليه ملك ونحو ذلك. لا شك أن هذا كله اعتراض على الله تعالى واعتراض على شرعه وعلى من جاء به؛ فإذا صدرت منهم هذه السخرية بمثل هذه الأعمال اعتبر نقصاً لعهدهم، كما أنها إذا صدرت من المسلم اعتبر مرتداً، وحل بذلك قتاله أو قتله. نعم. ..مش مناسبتها. ..هذا ذمي في بلادنا أو بين المسلمين أو معاهد في بلادهم إذا صاروا حربيين ما لنا عليهم سلطة. ..بين المسلمين، في بلاد المسلمين هذا لذميين أو معاهدين أو مستأمنين. يؤخذ عليهم العهد أنهم يلتزمون بأحكام الإسلام ويتقاليد المسلمين ولا يفعلون شيئاً يخالف تعاليم الإسلام، فإذا فعلوا ذلك إذا خالفوا انتقص عهدهم، وأما مخاطبة الكفار بفروع الشريعة فلا مناسبة لها. أليس لأن الكفار يعموا الحربيين ويعموا غيرهم؟ والحربيون ليسوا ملزمين بشيء من تعاليم الإسلام ولا من فروع الشريعة. ..لا، حتى لو كانوا مخاطبين ما تقبل، ما تقبل منهم لفقده شرطها وهو الإسلام. ..يعني: تلحق بالسخرية؛ السخرية بالمسلمين أو تارة يكون قصده عيب هذا الشعار، فيكون هذا ردة، وتارة يكون عيبه لشخص معين؛ فلان ذو لحية طويلة ولم يُرد بهذه اللحية يعني: التدين ما أراد بذلك إلا كذا وكذا، فمثل هذا لا يصل إلى الردة؛ لكونه إنما عاب شخصاً، أما إذا استهزأ باللحية من حيث العموم. يعني: لماذا جاء الشرع بهذا بتوفير هذا الشعر؟ هذا الشعر الذي في الوجه قد يضايق صاحبه؟ الشرع أخطأ، الرسول أخطأ في قوله: { أوفوا للحي } هذا ضرر من الشرع، لا فائدة في هذه اللحية. تركها فيه تشييب للحلقة، وحلقها فيه تحسين للمنظر وللوجه وكذا وكذا، فإذا اعترض على الشرع في تقريره لشرعة أو لشريعة من شعائر الإسلام اعتبر منتقص العهد أو مرتداً، وأما إذا كان عيبه لشخص أو لأشخاص معينين فلا يصل ذلك إلى حد الردة أو حد نقض العهد، ويعتبر مثل الغيبة للإنسان والنميمة به والقذف له ونحو ذلك، يمكن ذلك الذي اغتیب من الاقتصاص منه أو طلب حقه الخاص الذي هو حق خاص له. والحاصل أنهم إذا استهزؤوا بشريعة من شعائر الإسلام؛ لأجل أن الإسلام أقرها كان هذا نقصاً للعهد؛ كان يستهزؤوا بشرعية الزكاة أو بشرعية الصدقات أو بشرعية الأضاحي أو بشرعية الحج. لماذا يحج؟ ما فائدته؟ أو من شرعية دفن الأموات أو بشرعية تغسيلهم أو تكفينهم؛ قالوا: ما دام أنه مات لماذا لا يحرق؟ لا فائدة في دفنه أو نحو ذلك، فمثل هذا يعتبر اعتراضاً على الإسلام من حيث هو فينتقص عهدهم، بخلاف ما إذا كان كلامه في شخص معين. نعم.